الأصوات العربيّة بين الفصحى واللّهجات؛ لهجة منطقة وركَلة عيّنة

Arabic phonemes between formal language and dialects. The dialect of the Ouargla region is a sample

د.فضيلة دقناتي *

تاريخ الاستلام: 2021.04.17 تاريخ القبـول: 2021.09.16

ملخّص: لكل لغة نظام صوتي خاص، يميزها عن غيرها من اللغات، وإن تشابهت جل اللغات في عدد الأصوات عموما، إلا أن الخصائص الصوتية تتمايز وتختلف، وقد تختلف الأصوات في اللغة الواحدة ضمن أداءات متعدّدة تشكل لهجات تنتمي كلها إلى اللغة الواحدة.

سنسلط الضوء في ورقتنا البحثية هذه على أصوات اللغة العربية الفصحى، وما أصابها من تغيّر في الأداء في لهجاتها اليوم، من خلال تقديم نماذج من لهجة منطقة ورقلة.

كلمات مفتاحية: لغة؛ صوت؛ صوتيات، فصحى؛ لهجة

Abstract: Each language has its own sound system, which distinguishes it from other languages; even if they are similar in the number of linguistic sounds; And the sounds in the same language differ in dialects that all belong to the same language.

In our research paper, we will study the sounds of the classical Arabic language, and the change in performance in its dialects today, by presenting samples of the dialect of the Ouargla region.

Keywords: language; phoneme; phonetics; formal language; dialect.

* - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وحدة ورقلة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: deguenatifadila@gmail.com (المؤلّف المرسل)

1. **مقدّمة:** تخضع اللغات إلى مبدأ التغيّر والتحول في فترات زمنية متعاقبة، لاسيما إذا اتسعت رقعتها الجغرافية وزاد عدد المتكلمين بها، ويظهر هذا التحول بجلاء في المستوى الصوتي للغات، مع وجوده بتفاوت في المستويات اللغوية الأخرى.

لقد حافظت اللغة العربية الفصحى على نظامها الصوتي بفضل القرآن الكريم، الذي وصل إلينا متواترا عن طريق المشافهة، وبفضل الدراسات الصوتية الضخمة التي رافقت النص القرآني في فتراته المختلفة، ومع ذلك فإن العاميات العربية اليوم تتنوع وتختلف.

وعليه فما هي أهم مظاهر التغير الصوتي التي أصابت المستوى العامي للعربية؟

نهدف من خلال هذه الورقة الكشف عن بعض الأداءات الصوتية في العامية العربية، وذلك بانتقاء عينة للدراسة حدّدت بمنطقة وركَلة، وتحديدا بتتبع جماعة لسانية متمثلة في عرش المخادمة.

قامت الدراسة على التتبع والوصف للظواهر الصوتية، فكان المنهج الوصفي ما اعتمدناه في عرض المعلومات بهدف الوصول إلى نتائج ذات قيمة علمية.

2. مفاهيم نظرية:

1.2 اللّغة والأصوات:

اللغة: تعد اللغة من علامات تميّز الإنسان عن الكائنات الحية جميعها، فهي آية من آيات إبداع الله عز وجل، واللغة في أبسط تعريفاتها. "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم" (جني، 2000) فالمكون الأول للغة هو الصوت، والغاية منها هو التعبير والتواصل.

وقريب من التعريف السابق، تعرّف اللغة بكونها "نظاما من النواقل ذات المعنى وتستلزم اثنين فأكثر - (حتى عنما تتكلم إلى نفسك فأنت تجرد من شخصك فردا متكلما وآخر سامعا)- تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق، بين أعضاء الجماعة اللغوية، على المعنى أو المعاني المعيّنة التي تستدعيها أصوات خاصة" (باي، 1989، ص40)، وإن تعددت تعريفات اللغة وتنوعت فإنها تتفق جميعها في النظر إلى مادة اللغة (الصوت) والغاية منها (الدلالة).

الصوت اللغوي: الصوت ظاهرة فيزيائية طبيعية، تحدث بطريقة آلية عند احتكاك جسمين (فأكثر)، بما في ذلك الهواء والصوت اللغوي هو كل صوت صادر عن الإنسان، ويسهم في تشكل معنى ما، ويمتاز الإنسان بقدرته على نطق اللغة، "وترتبط هذه المقدرة بفطرته التي فطره الله عليها من ناحية، وبقدرته العقلية من ناحية ثانية، وبوجود جهاز نطق متطور قادر على القيام بوظيفته" (الخولي، 1990، ص18).

وليس كل صوت صادر عن الإنسان هو صوت لغوي، فقد يصدر الإنسان أصواتا غير مقصودة، فالمحدّد هنا هو أن يدخل الصوت في تشكيل اللغة.

جهاز النطق عند الإنسان: يطلق مصطلح جهاز النطق تجوزا؛ لأن الأصل أن الأعضاء التي تسهم في إصدار الصوت عند الإنسان تقوم بوظائف حيوية أخرى هي الهضم والتنفس؛ حيث "تتطلب عملية

النطق أن يعمل أكثر من نصف الجسم الإنساني بشكل مباشر أو غير مباشر، وبدءا من عضلات البطن ووصولا إلى الرأس" (رمضان،2006 ص11)، فمصدر "الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة، أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها. فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي" (أنيس،1950 ص9).

وتشترك كل من الأعضاء الآتية في إنتاج الصوت:

-الشفتان، الأسنان، أصول الأسنان ومقدمة الحنك، الحنك الصلب (وسط الحنك)، الحنك اللين (أقصى الحنك)، اللهاة.

طريقة تشكل الصوت الإنساني: يرتبط حدوث الصوت الإنساني بعملية التنفس ارتباطا وثيقا، إذ يتم إنتاج الأصوات عادة مع عملية الزفير، وعن طريق تيار الهواء تعمل أعضاء النطق، فتيار الهواء هو الأساس لكل أصوات الكلام الإنساني بكل تنوعاته وموجدة ما يسمى بميكانيكية تيار الهواء (رمضان، 2006، ص17).

المخارج: المخرج هو موضع الخروج، ومخرج الصوت هو الموضع الذي يتشكل فيه، يقول ابن جني: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها" (ابن جني، 2000، ص19).

ونلاحظ أن ابن جني قد استعمل مصطلح الحرف للدلالة على التشكيل الصوتي المحدّد، وبين مصطلح الحرف والصوت عموم وخصوص، فالحرف ثابت بصورته النطقية أو الكتابية، أما الصوت فهو متغيّر حيث يمكن أن نجد للحرف الواحد (الراء مثلا) صورا صوتية مختلفة (الراء المرققة، والراء المفخمة)، ومع ذلك فإننا اعتمدنا المصطلحين للدلالة على شيء واحد تقريبا، واخترنا مصطلح الصوت لشموليته.

الصفات: عند اتفاق مجموعة من الأصوات في مخرج واحد، تقوم الصفات بوظيفة تمييزية يتشكل من خلالها الصوت بصورة لا يمكن أن يشاركه فيها غيره، وتنقسم صفات الأصوات (الحروف) في اللغة العربية على قسمين؛ هما:

صفات لها ضد: وهذه الصفات تغطي الأصوات جميعها، وهي: الشدة والرخاوة -الجهر والهمس -الانفتاح والإطباق -الإصمات والإذلاق

صفات منفردة: وهي صفات تتميز بها بعض الأصوات دون غيرها، مثل: الصفير، الاستطالة، التفشي، القلقلة...

الصوتيات: أو ما يسمى بعلم الأصوات وهو فرع من فروع اللسانيات يهتم بدراسة "أصوات اللغة بما في ذلك الإمكانات الصوتية الفيزيقية للإنسان، والخصائص الأصواتية للغة أو لهجة، والتغيرات الصوتية

التي تتعرض لها خلال تاريخها" (مالمبرج، دت، ص7-8). وتتفرع الصوتيات بدورها إلى فروعين رئيسين هما الصوتيات العامة، والصوتيات الوظيفية.

2.2 الفصحى واللهجة:

اللغة الفصحى: الفصح في اللغة "خلوص الشيء مما يشوبه، وأصله في اللبن، يقال: فصح اللبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرّى من الرغوة... ومنه استُعير فصح الرجل: جادت لغته وأفصح" (السيوطي، دت) فالفصاحة بذلك هي اللغة الخالصة النقية. ويختلف معيار الفصاحة في اللغات باعتبار الثقافة والخلفيات؛ فالفصاحة في اللغة العربية مرتبطة بالنص القرآني الكريم؛ ولقد حدّد علماء اللغة معايير تحفظ الفصيح وأطّروه زمانا ومكانا لكي يسلم من كل شائبة.

واللغة الفصحى "تأخذ شكل القاسم المشترك الذي ينتسب إليه الجميع، والنموذج الذي يتمثّله ويحاول تقليده وتحقيقه كل مستعملي العربية" (الودغيري، 2013، ص8).

اللّهجة: تعرف اللهجة بأنها "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة" (أنيس، في اللهجات العربية 1992).

العامية: يشترك مصطلح العامية مع مصطلح اللهجة بكونه يعبر عن لغة يستعملها العامة، ويقصد به كل تحريف للفصيح سببه الاستعمال وأصبح دارجا على لسان العامة، فالعامي من الكلام هو "ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي والعامية: لغة العامة، وهي خلاف الفصحى" (مجمع، 2004).

ومن المصطلحات المعبرة عن اللهجة أيضا مصطلح الدارجة.

الاختلاف بين الفصحى واللهجات:

-اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية؛

-اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات؛

-اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين؛

-تباين في النغمة الموسيقية للكلام؛

-اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض (أنيس، في اللهجات العربية 1992).

أسباب تشكل اللهجات: تعددت الآراء حول أسباب تشكل اللهجات؛ ويجمل إبراهيم أنيس الأسباب المؤدية إلى نشوء اللهجات في عاملين اثنين هما:

-الانعزال بين بيئات الشعب الواحد؛

-الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

3. مظاهر التغير الصوتي بين الفصحى ولهجة وركَلة:

1.3 نبذة تعريفية بمنطقة الدّراسة: تقع مدينة وركَلة في الجنوب الشرقي للجزائر، وتمتاز بمكانتها الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، حيث تعد مكانا متنوعا لغويا وعرقيا (قبائل عربية متنوعة، وقبائل أمازيغية) و يتفق أغلب المؤرخين على أنّ سكان مدينة ورقلة الأصليين هم أمازيغ، ينحدرون من قبيلة زناتة، وتطلق عليهم تسمية بني وركَلة، أما العرب فقد دخلوا المنطقة مع الهجرات الهلالية حوالي القرن الخامس الهجري، ومن الملاحظ أنهم قد حافظوا على خصائصهم وسماتهم الذاتية، فقد عرفوا بحياة البداوة والترحال وحافظوا على ذلك إلى وقت غير بعيد، وتوافدت القبائل العربية إلى المنطقة على فترات، فاستقرت في وركَلة قبيلة الشعانبة، وقبيلة سعيد وقبيلة المخادمة، وقبيلة بني ثور. وبسبب المكانة الاقتصادية للمدينة فقد توافد عليها العديد من السكان من مختلف ولايات الوطن.

لقد" نزحت اللّغة العربية إلى تلك البيئات المتعدّدة في صورتين: إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز، والأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية" (أنيس، في اللّهجات العربية، 1992، ص26).

ونلاحظ أن الواقع اللغوي في منطقة وركَلة تتقاسمه لغتان مختلفتان هما اللّغة العربيّة واللغة الأمازيغية، ونظرا للاحتكاك المباشر بين اللّغتين فإنه لا بد من وجود حتمية علاقات التأثير والتأثّر بين اللّغة والأخرى. فاللّغة العربيّة ليست حكرا على العرب فحسب، فهي لغة الدّين والتّعليم والتّواصل العام في المنطقة.

2.3 الصوامت العربية بين الفصحى ولهجة وركَلة: إن المتأمل للأداء النطقي للهجة العربية في منطقة وركَلة يلاحظ جملة من الظواهر الصوتية التي تشترك مع بقية اللهجات العربية في بعضها، وتتميز بها في بعضها الآخر. ومن الظواهر العامة التي تشترك فيها جل اللهجات هي الابتداء بالساكن مما يخالف قواعد العربية الفصحى التي يحظر فيها الابتداء به مطلقا؛ ففي قولنا "شَربت" يقابلها في اللهجة "شْربت" مثلا.

ومن الملاحظات الصوتية التي سجلناها حول صوائت اللهجة في منطقة وركَلة نذكر:

تسهيل الهمزة: الهمزة "صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ومن الحنجرة-على ما توصل إليه علم الأصوات... وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوي وانفجار وفرقعة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلي كبير حال نطقها" (هلال، 1993، ص210).

ونلاحظ أن هناك اختلافا بين تحديد مخرج الهمزة وصفاتها بين القدماء والمحدثين؛ فهي عند القدماء صوت مجهور يخرج من أقصى الحلق، أما عند المحدثين "فهي صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة

انغلاق الوترين الصوتيين تماما، ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس" (شاهين، 1980، ص182)، ويرجع هذا الاختلاف إلى طريقة الوصف والدقة لا إلى طبيعة الصوت في ذاته.

ويتراوح أداء الهمزة في اللغة العربية بين التحقيق (الهمز أو النبر)، وبين التسهيل؛ وما يرتبط به من حذف وإبدال، والتحقيق ظاهرة لغوية قديمة أجمعت كتب العربية على أنها "من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز" (الراجحي، 1996، ص105).

ويرجع سبب هذا التنوع في الأداء إلى أن الهمزة تحتاج إلى جهد في النطق؛ يقول سيبويه (ت 180ه): "واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا" (سيبويه، 1988).

ويلاحظ أن لأداء الهمزة (قديما) ارتباطا ببيئة المتكلّم، حيث أن "القبائل التي كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش في البادية، أما قبائل التسهيل فهي تلك التي كانت متحضرة في الحجاز وبخاصة قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة" (الراجحي، 1996، ص106).

ويرى علماء التجويد أن "التسهيل عبارة عن تغيير يدخل الهمزة، وهو على أربعة ضروب: بين بين، وبدل وحذف وتخفيف. فبين بين: نشوء حرف بين همزة وبين حرف مدّ، والبدل: إقامة الألف والياء والواو مقام الهمزة عوضا منها، والحذف: إعدامها دون خلف لها" (السماتي، 2007، ص68-69).

وبملاحظة الأداء اللهجي لعينة الدراسة، نقف على الآتي:

-الهمزة في بداية الكلمة أو في آخرها: تحذف الهمزة في بداية جل الكلمات؛ سواء أكانت همزة قطع أم همزة وصل؛ وكذلك إذا جاءت متطرفة ومن ذلك:

الهمزة في أول الكلمة		الهمزة في آخرها	
في الفصحى	في اللهجة	في الفصحى	في اللهجة
أحمد	حْمد	سماء	سْمَ
أحمر	حْمر	صحراء	صَحْرَ
امتحان	مْتحان	ضوء	ضوْ

ويستثنى من ذلك بعض الأسماء الحديثة (لم تعرف في المنطقة من قبل)، مثل: أمين، وأشرف، وإكرام... ومع ذلك فإننا نجد كبار السن ممن ترسخت لديهم العادات النطقية اللّهجية لا يحققون همزاتها، ولا يحذفونها تماما، بل يسهلونها (يعطونها زمنا بين الهمزة وحرف المد المجانس لحركتها).

الهمزة في وسط الكلمة: تسهّل الهمزة في جل المواضع، ومن ذلك:

الهمزة في الكلمة الفصيحة	مقابلها في اللهجة	التغيّر الصوتي
فأس	فاس	أبدلت الهمزة ألفا (حسب الفتحة قبلها)
بئر	بير	أبدلت الهمزة ياء مديّة (حسب الكسرة قبلها)
مؤمن	مومن	أبدلت الهمزة واوا مديّة

ويحدث أن تتحول الهمزة -في كلمات معدودة-إلى حرف العين، ومن ذلك كلمة "قرآن"، نجدهم ينطقونها: "قُرعان"، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر التي عرفتها اللهجات العربية القديمة، وهي ما سمي بالعنعنة (مع أن الأصل في العنعنة أن تكون في أول الكلمة؛ يقول ابن فارس (ت 395ه): " فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينًا، يقولون: "سمعتُ عَنَّ فلانًا قال كذا" يريدون "أَنَّ" (ابن فارس،1997، ص29))، ولعل السبب في قلب الهمزة عينا هو تقاربهما في الأداء الصوتي.

التغير في مخرج الحرف أو في صفاته: ويصطلح على هذه الظاهرة بالإبدال؛ يقول الثعالبي (ت 429ه): " من سنن العرب، إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض، في قولهم: مدح ومده، وجد وجذ، وخرم وخزم، وصقع الديك وسقع، وفاض: أي مات، وفاظ، وفلق الله الصبح، وفرقه، وفي قولهم: صراط وسراط، ومسيطر ومصيطر، ومكة وبكة" (الثعالبي ص418)، ومن الحروف التي أصابها الإبدال في لهجة مدينة وركَلة، نذكر:

حرف الضاد: حرف الضاد من الحروف التي دار حولها جدل كبير بين علماء اللغة قديما وحديثا، ولقد نُسبت العربية لهذا الصوت فأصبحت تسمى لغة الضاد، يقول ابن جني: "واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل" (جني، 2000)

و"يأتي صوت الضاد على قمة السمات الصوتية التي تنفرد بها اللغة العربية. وذلك أن هذا الصوت -بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالتها-ليس له وجود على الإطلاق في أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض... إنما هو صوت الدال، ولكنه نطق مفخما فأشبه ضادنا في النطق، ولكن شتان بين الصوتين في القيمة والوظيفة" (بشر، 1998، ص198).

ونجد أن علماء التجويد يركزون كثيرا على هذا الحرف؛ يقول أحدهم: "ولا بدّ له (للقارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة لصعوبة من لم يتدرب فيه (...) والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلّف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته" (القيسي، 2005، ص184).

كما أن الخلط بين حرف الضاد وحرف الظاء يقع فيه أكثر الناس، فيقع فيه المتعلمون على مختلف مستوياتهم ويجد أغلبهم صعوبة في التمييز بين الحرفين (كتابة ونطقا)، مع أن لكل منهما خصائصه التمييزية في الكلام، فكلمة "ظلَّ" تختلف عن كلمة "ضلَّ" اختلافا كليا، كما تختلف كلمتي "ناظرة" و"ناضرة" في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة، الآية 22،23)

أما في لهجة وركَلة فإننا نجد أن حرف الضاد ينطق دالا مفخمة، ولا يختلف حرف الظاء على ذلك فكلاهما ينطقان نطقا واحدا دون تمييز بين الكلمات التي يرد فيها الضاد والكلمات التي يرد فيها الظاء. ومن ذلك: الظّل.....دَّلْ (دال مفخمة)، الضوء.....ضَّوْ (دال مفخمة)

حرف الغين: صوت طبقي حنكي (قصي)، احتكاكي (رخو) مجهور ومفخم. "يتكون حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ثم يتخذ مسراه إلى الحلق حتى منطقة أدنى الفم، فيرتفع أقصى اللسان، بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وفي نقطة الالتقاء يسمح للهواء بالمرور ليحدث احتكاكا مسموعا.

يعد حرف الغين من أول الحروف التي ينطق بها الطفل (المناغاة)، وذلك بحركة آلية، لكن ما يلاحظ على مناطق كثيرة من منطقة وركَلة تغيير هذا الصوت بصوت "القاف"، فنجدهم ينطقون "الغابة" بقولهم "لْقابة" وقس على ذلك.

إن هذا التغيير في صوت الغين بصوت قريب منه مخرجا قد أصبح سمة أدائية في بعض العاميات ويصعب على أصحابها (لاسيما كبار السن) تصحيحها، مع معرفتهم بالصواب خاصة في قراءة القرآن.

ويعمم نطق حرف الغين قافا أينما ورد، في كل الكلمات، في اللهجة العربية الوركلية، ولقد لمسنا هذا - كما أسلفنا-خاصة عند كبار السن، وحتى إن تدرب أحدهم على نطق الغين مفردا إلا أنه لا يحسن أداءه في درج الكلام.

صوت القاف: القاف حرف لهوي انفجاري (شديد) مهموس، يتشكل هذا الصوت حين يرتفع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة. وفيه يرفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق حيث يسد المجرى الأنفي. ومعه لا تتذبذب الأوتار الصوتية، وحين يطلق سراح مجرى الهواء يأتلف الصوت محدثا انفجارا مسموعا، وتتمثل مظاهر التغيير في هذا الصوت في نطقه صوتا غير موجود في اللغة العربية، وهو صوت بين القاف والكاف، بما يمثله الصوت الإنكَليزي "ga" وهذه الظاهرة الصوتية مطّردة في جل اللهجات العربية وبخاصة لهجات المناطق الجنوبية، حتى أننا نجد من يضع لهذا الصوت الغريب رمزا كتابيا متمثلا في حرف القاف بنقطة ثالثة فوق نقطتيها، فنجدهم ينطقون: "قال" بـ"ڤال"، و"قلب" بـ"ڤلب" (مع تحفظنا من الكتابة بهذا الحرف).

لكن هذا الأداء الصوتي ليس شاملا لكل الكلمات، فهناك كلمات تبقى فيها القاف على حالها، لكنها تفقد صفة التفخيم بدرجة كبيرة، ففي كلمات مثل: الوقت، والقلم، والقوة، تبقى القاف على حالها، ولم نتمكن من إيجاد معيار التمييز بين الكلمات التي تبقى فيها القاف والكلمات التي تغيّر، وعموما فإن الكلمات الجديدة.والكلمات المرتبطة بالتعليم والتعلم تنطق فيها القاف على حالها.

كما قد نجد بعض الكلمات التي يكون فيها مظهران لنطق القاف، ويشكل كل نوع دلالة مختلفة؛ مثل: يقلي: بالقاف؛ تحمل معنى الطهي باستعمال الزيت، ب (ga)؛ تحمل معنى نوع من طهي الحبوب مباشرة على إناء الطهي، قرعة: بالقاف؛ تحمل معنى القارورة (قنينة)، ب (ga)؛ تدل على نوع من الخضار (القرع).

صوت الثاء: صوت أسناني احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. ويتشكل هذا الصوت حين يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا بحيث يترك ممرا ضيقا للهواء الخارج من الرئتين عبر الحنجرة، حيث لا تتذبذب الأوتار الصوتية معه، وفيه يكون وضع اللسان مستويا مع رفع الطبق لسد المجرى الأنفي.

وصوت الثاء من الأصوات التي أصابها التغيير في عامية المنطقة، فأصبح ينطق "تاءً" في جل مواضعه، فالأداء الصوتي لكلمة "ثلاثة" هي "تلاتة"، وكلمة ثعلب تنطق ب: تعلب، وينطبق هذا على كل كلمة حوت هذا الصوت.

صوت الذال: نجد صوت الذال قد أصابه التغيير في اللهجة، فأصبح ينطق دالا، وقلما لحرف له حضورا فيها، فكل كلمة ورد فيها ذال ينطق في لهجة ورقلة دالا خالصة؛ فكلمة "ذَّهبُ"، تنطق في اللهجة" دْهب" وقس على ذلك. ومما يلاحظ حول الإبدال في اللهجة عموما، أنه يكون بسبب تقارب المخارج بين الحرفين، حيث يبحث المتكلم في الغالب على الأسهل نطقا.

القلب المكاني: يعد القلب المكاني من الظواهر الصوتية الشائعة في اللغة العربية واللغات السامية، وهو ظاهرة لغوية واضحة لا يمكن إغفالها لكثرة أمثلتها في المنطوق العربي، ويقصد به "تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية" (عمر، 1997، ص335).

ومن أمثلة القلب المكاني في لهجة وركَلة نذكر:

في الفصحى	في اللهجة	التغيير
يَلْعَنُ	يَنْعَل	تقديم اللام على العين والفاء
يَجْعَل	يَعْجَل	تقديم العين على الفاء
مَعَ	عْمَ	تقديم العين على الفاء

وقد لا يكون هناك مبرر علمي لهذه الظاهرة، ومع قلتها وانحصارها مع الزمن في عينة الدراسة، إلا أنه لا يمكن إغفالها بعدها ظاهرة موجودة في اللغة العربية منذ القدم.

هذه أبرز الصوامت التي يظهر التغيير فيها جليا، مع الإشارة إلى أن الكثير من الصوامت قد مسها تغيير في بعض صفاتها، فالخاء العامية مرققة، مع أن أصلها مفخمة مثلا.

3.3 الصوامت العربية في لهجة وركَلة: حركات اللغة العربية ثلاث هي الفتحة والضمة والكسرة، وهي "في حقيقتها حروف مد قصيرة وطريقة الكتابة العربية هي التي أوهمتنا أن بينها وبين حروف المد فرقا نوعيا مع أن الفرق كمي"(المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دت)، وقد كان هذا التصور واضحا عند القدماء؛ يقول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة" (ابن جني، 2000).

إن التغير في الصوائت العربية في لهجة منطقة وركَلة يظهر أساسا في طريقة الانفتاح في الفتحة وألف المد؛ فنجد أن أداءها ممال نوعا ما، وهذه الإمالة تشكل سمة من سمات اللهجة، أما على مستوى الكسر والضم فعلى الرغم من أن أداءهما ليس مماثلا للفصيح تماما إلا أنه لا يمثل سمة بارزة.

إضافة إلى التغيرات الصوتية على مستوى الصوامت والصوائت فهناك مظاهر أخرى تميز اللهجة في مدينة وركَلة مرتبطة أساسا بالنبر والتنغيم، وهي سمات يمكن ملاحظتها من خلال السياق اللغوي للمتكلم.

كما تمتاز هذه اللهجة بالسرعة في الأداء اللساني، ويرجع البعض هذه الظاهرة إلى ارتباطها بالبداوة على عكس الحضر الذين يتسم كلامهم بالبطء والأناة.

ملاحظة: بعد تقديم هذه النماذج من التغيرات الصوتية في لهجة مدينة وركَلة، تجدر الإشارة إلى أن لهذه الأداءات علاقة بالتطور الثقافي والحضاري، فنجد البعض من أبناء المنطقة يربطون هذه التغيرات بقضية التحضّر والثقافة، فينظرون بازدراء ودونية لهذه اللهجة، فيحاولون بجد التغيير من هذه الأداءات، كما نجد البعض الآخر يقرون بأن هذه الأداءات الصوتية تخالف الفصحى، ويسعون إلى تقريبها من الفصيح؛ وعليه نلاحظ وجود مستوى آخر للهجة في المنطقة تقل فيها التغيرات الصوتية السابقة الذكر، لكن هذا المستوى يبقى خاصا ببيئات معينة بعيدة عن البيئة العائلية.

5. خاتمة:

بعد أن قدمنا عرضا لأهم القضايا المرتبطة بالأصوات في اللغة العربية، وحاولنا تتبع بعض النماذج من التغيرات الصوتية بين الفصحى العربية ولهجة مدينة ورقلة، خلصنا إلى ما يلي:

-يعد المستوى الصوتي من أبرز المستويات اللغوية التي تعكس التغير بين الفصحى واللهجات؛

-إن وجود اللهجات المتعدّدة للغة الواحدة هو مظهر صحي للغة، فلا يمكن أن تبقى لغة، مهما كانت، على نمط واحد عبر عصورها وجغرافيتها؛

-على الرغم من الاختلاف في بعض المظاهر الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات (لهجة مدينة ورقلة) إلا أن مظاهر التوافق والتقارب أكبر من ذلك؛

-يعدّ تسهيل الهمزة سمة بارزة في لهجة مدينة وركّلة؛

-يمثل الإبدال في الصوامت العربية من أهم الظواهر الصوتية التي تميز اللهجة عن الفصحى؛

-إن التغير الصوتي لبعض الأصوات بين الفصحى ولهجة مدينة وركّلة هو في الأصل ظاهرة لغوية كانت موجودة في اللهجات العربية القديمة؛

-يمثل التحول في طريقة نطق الصوائت العربية ملمحا تمييزا للهجة مدينة وركّلة؛

-إن التوجه لوصف اللهجات ودراستها إنما هو من أصيل الدرس اللغوي العربي، ولا يمثل ضربا للفصحى ولا مساسا بقيمتها؛

6. قائمة المراجع:

1- إبراهيم أنيس. (1950). *الأصوات اللغوية* (المجلد 2). مصر: مكتبة نهضة مصر.

2- إبراهيم أنيس. (1992). *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

3- ابن الطحان السماتي. (2007). *مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ*. القاهرة، مصر: مكتبة التابعين.

ابن فارس. (بلا تاريخ). *الصاحبي*.

4- أبو الحسن أحمد بن فارس. (1997). *الصاحبي*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

5- أبو الفتح عثمان بن جني. (2000). *سر صناعة الإعراب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

6- أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. (2005). *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة*. عمان الأردن: دار عمار.

7- السيوطي. (دت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* (المجلد 3). (محمد أحمد جاد المولى بك وآخران المحرر) القاهرة: مكتبة التراث.

8- برتيل مالمبرج. (دت). *علم الأصوات*. يروت: مكتبة الشباب.

9- رمضان عبد الله. (2006). *أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات*. الإسكندرية، مصر: مكتبة بستان المعرفة.

10- سيبويه, عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988). *الكتاب*. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

11- عبد الصابور شاهين. (1980). *المنهج الصوتي للبنية العربية*. مؤسسة الرسالة.

12- عبد العلي الودغيري. (2013). *لغة الأمة ولغة الأم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

13- عبد الغفار حامد هلال. (1993). *اللهجات العربية نشأة وتطورا*. القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.

14- عبد الله رمضان. (2006). *أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات*. الإسكندرية، مصر: مكتبة بستان المعرفة.

15 -عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. (بلا تاريخ). *فقه اللغة وسر العربية*.

16- عبده الراجحي. (1996). *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة.
17- غانم قدوري الحمد. (2008). *الدراسات الصوتية عند علماء التجويد*. عمان، الأردن: دار عمار.
18- كمال بشر. (1998). دراسات في علم اللغة. القاهرة: دار غريب.
19- ماريو باي. (1989). أسس علم اللغة. القاهرة: عالم الكتب.
20- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (2004). *المعجم الوسيط*. مكتبة الشروق الدولية.
21- محمد المبارك. (دت). *فقه اللغة وخصائص العربية*. دمشق: دار الفكر.
22- محمد علي الخولي. (1990). *الأصوات اللغوية*. عمان: دائرة المكتبات والوثائق الوطنية.